20

بين الفراسة والعبقرية

- والحاسة السادسة

والبصيرة الإيمانية.

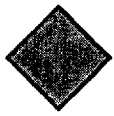

الفراسة والعبقرية والحاسة السادسة والبصيرة الإيمانية

العبقرية قمة الاكتمال العقلى للإنسان وهناك ربط بين الفراسة والتى تعتمد على حسن ظن المتفرس وبين العبقرية البشرية.

فالعباقرة مثلهم مثل أصحاب الفراسة الظنية المكتسبة والفراسة الربانية يجمع بينهما فرط الحس وغرابة الاستجابة والنظر على البعد والشعور به.

فالفراسة هى ضرب من استحياء الغيب وفهم أسراره بالبصيرة الإيمانية والمكتسبة وتلك إحدى صفات العبقرية أيضاً.

فكلاهما يبحث عن اكتشاف الغيب المجهول للإنسان العادى.

وكان من عباقرة الصحابة وأكثرهم فراسة عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما.

وقد قال عمر بن الخطاب «من لم ينفعه ظنه لم تنفعه عينه».

وهى مقولة ذات مغزى واضح لإيضاح معنى الفراسة وارتباطها بين الرؤيا الإيمانية المعتمدة على البصيرة الربانية، حتى إن من فراسة عمر أنه ذات يوم رأى رجلاً يدخل المسجد النبوى فى خلافته فقال: أحسبه أنه كان كاهناً فى الجاهلية.

وبالفعل صدق حسه وفراسته، فقد كان الرجل كاهناً لقومه فى الجاهلية قبل دخوله فى الإسلام.

وأيضاً من الذين اشتهروا بالفراسة التى تصل حد العبقرية عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد روى عنه ما حكاه أنس بن مالك قال:

دخلت على عثمان مرة وكنت قد لقيت امرأة فى الطريق فنظرت إليها وتأملت محاسنها.

فقال عثمان عندما نظر إلىَّ: يدخل علىَّ أحدكم وأثر الزنا ظاهر فى عينيه!! أما علمت أن زنا العين النظر!!

فقلت: أوحى بعد النبى؟

فقال: لا، ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة.

وقد ذهب الإمام الغزالى رحمه الله أن هذه الحاسة موجودة بالفطرة عند جميع الناس مثل السمع والنظر والذوق ولكن إدراك تلك الحاسة الباطنة وهى ما نسميها نحن الحاسة السادسة تحتاج لأمور مثل:

عدم اشتغال النفس بالحس الظاهر وشهوات البدن ومجاهدة النفس بالعبادة والقرب من الله بالعمل الصالح.

ويذكر الغزالى فى إحياء علوم الدين إن المعلومات التى تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهى على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضهم بتعلم واكتساب.

وكذلك تكون العبقرية والفراسة قد تتحصل بالإلهام من الله عز وجل أو بالتعلم والاكتساب.

ويفرق الغزالى بين الوحى والإلهام، فالوحى تصريح الأمر الغيبى، والإلهام تعريضه، والعلم الحاصل على الوحى يسمى علماً نبويّاً، والذى يحصل عن الإلهام يسمى علماً لدنيّاً، والعلم اللدنى هو الذى لا واسطة فى حصوله بين النفس وبين البارى.

والالهام تنبيه النفس الكلية للنفس الجزئية الإنسانية على قدر صفائها وقبولها وقوة استعدادها ويتولد الإلهام من إفاضة العقل الكلى.

ولا شك أن الحيوانات والطيور لديها قدرات خاصة فطرية ربانية مثل الفراسة الإيمانية عند الإنسان، فالأسماك تحس بقرب نزول المطر وتغوص تحت الماء فى الأعماق.

والطيور تحس وتشعر بالصياد فتطير بعيداً عن مواقع الخطر.

بعض الحيوانات تشعر بقرب وقوع الزلازل وتقوم بالهرب من مكان وقوعه.

وتلك هى الحاسة السادسة لدى الطيور والحيوانات وهى نفس التى عند الإنسان الذى يشعر بالخطر قبل حدوثه فيحس بسيارة قد تصدمه فيرجع إلى الوراء وتمر السيارة بسرعة من أمامه مثلاً.

ومن القصص الواردة فى هذا الخصوص ما ورد فى مجلة أعمال جمعية البحث الروحى من كتاب «العلم السابق» الصادر عام ١٩٢٨ فى لندن:

إن مستر برايتين كان نائماً فى يخت راسى فى الميناء وسمع فى حلمه من يحذره أن ثمة خطراً يحدق به من سفينة أخرى تكاد تدهمه.

فاستيقظ من نومه وصعد إلى ظهر اليخت، ولكنه وجد الهدوء يسود كل شىء وإن كان الضباب قد انتشر حول المنطقة.

فعاد إلى نومه فرأى الحلم مرة أخرى فاستيقظ وصعد ظهر اليخت فلم يرَ أى شىء يقلقه.

فتسلق السارية فى الوقت المناسب حيث استطاع أن يرى سفينة أخرى قادمة نحو اليخت وسوف تصدمه به فصاح محذراً ربان السفينة الأخرى وتفادى الاصطدام بها.

وهكذا نجا من الموت.

وقد أفرد أفلاطون كتاباً خاصاً من كتبه تحدث فيه عن رأيه فى الشعر والنقد الأدبى وقدم نظريته القائلة بأن العبقرية إلهام وقال: إن الشاعر كائن أثيرى مقدس ذو جناحين لا يمكن أن يبتكر قبل أن يلهم فيفقد صوابه وعقله وما دام الإنسان يحتفظ بعقله فإنه لا يستطيع أن ينظم شعرا.

ولذلك اعتبر أفلاطون وغيره من عباقرة الأدب والشعر أعمالهم إلهاما وعبقرية صدرت عنهم فى ظروف خاصة بهم.

ولذلك يرى «جوته» أنه كتب أحسن روايته وهو فى غيبوبة حالمة.

ويرى سيرل برث أستاذ علم النفس بجامعة لندن فى كتابه «كيف يعمل العقل» أن البحوث التى أجريت لقياس درجة التأثر والقوى العقلية عند الشعراء والمصورين والفنانين قد أدت إلى نتيجة واحدة هى أن الفنان المبدع من حيث ذكائه العام ومن حيث موهبته الخاصة رجل مزود بهبات فطرية نادرة، وإن المقدرة على خلق العمل الفنى كالمقدرة على تذوقه لا تتوقف على ملكة إضافية منعزلة عن مجرى حياتنا اليومية.

وهى فى درجاتها العليا ليست إلا إحدى ثمرات الحياة العقلية الضيقة.

ويرى الشاعر الإنجليزى «ستيفن سبندر» أنه ليس هناك من عمل فنى إلا وله ما فى نفس صاحبه وهذا الماضى هو تجربة قديمة مرَّ بها الشخص، فتركت آثاراً عميقة فى نفسه وهذه الآثار قد تختفى من السطح ولكن هذا لا يعنى أنها انتهت.

وبالتالى فإن الذاكرة هى جزء هام من العبقرية المبدعة التى تمكن أصحابها من الإبداع والاستدلال بظواهر الأمور كى تصل إلى بواطنها والتى هى لب الفراسة.

وقد أكد الغزالى أنه قضى نحو عشر سنوات مواظباً على العزلة والخلوة مستعيناً فيها بالذوق وبالعلم والبرهان والقبول الإيجابى، وإن هناك بعض الحقائق لا يمكن إدراكها.

أى أن العقلاء لا يدركونها بالعقل.

ولذلك فإن الغزالى يسلم بالذوق والفيض والإلهام ويرى أن طهارة النفس سبيل لكشف الحجب والوصول إلى معلومات وحقائق لا يمكن الوصول إليها عن طريق الحس والعقل.

إنها العبقرية والفراسة والقوى الخفية لدى الإنسان.